

تصور الجسد اجتماعيا

بلخير فايزة*

جامعة أحمد بن محمد وهران (الجزائر)

تاريخ النشر: 2018/12/28

تاريخ الاستلام: 2018/10/01

المخلص:

يعتبر الجسم البشري الوسيلة الرئيسية التي يقيس بها عالمه الداخلي وعالمه الخارجي، وقد أدرك الفلاسفة والمفكرون والباحثون هذه الحقيقة فكتبوا الكثير عن علاقة الفرد بجسمه وعن كيفية ادراكه لهذا الجسم ومدى تأثير تلك العلاقة، فالمجتمع يعلم الأفراد من لحظة الميلاد أن المظهر مهم، فترسل الرسائل عن الجسم في الطفولة من خلال التفاعل الجسدي المتبادل بين الطفل وأمه وتتطور تدريجيا خلال النمو والنضج، كما يتعلم الطفل بسرعة أن الآخرين سيحكمون عليهم من خلال مظهرهم أو كيف يبدو، وتلعب الثقافة دورا مهما في نمو الصورة الجسم. وتؤدي الرسائل الاجتماعية الحضارية إلى تشكيل التصورات والمشاعر والأفكار عن الجسم. كلمات مفتاحية: الجسد؛ التراث العلمي؛ الانثروبولوجيا؛ علم الاجتماع.

Abstract :

The human body is the main means by which he measures his inner world and his outer world. Philosophers, thinkers and researchers have realized this fact, and they wrote a lot about the individual's relationship with his body and how he perceives this body and the extent of the impact of that relationship. Society teaches individuals from the moment of birth that appearance is important, so messages are sent about the body. In childhood, through the mutual physical interaction between the child and his mother and gradually develops during growth and maturity, the child also quickly learns that others will judge them by their appearance or how they look, and culture plays an important role in the growth of body image. Civilizing social messages shape

*بلخير فايزة، جامعة أحمد بن محمد وهران (الجزائر) faizapsychologie@yahoo.fr

perceptions, feelings, and thoughts about the body.

Keywords: the body; scientific heritage; anthropology; Sociology

1. مقدمة:

يعتبر الجسم البشري الوسيلة الرئيسية التي يقيس بها عالمه الداخلي وعالمه الخارجي، وقد أدرك الفلاسفة والمفكرون والباحثون هذه الحقيقة فكتبوا الكثير عن علاقة الفرد بجسمه وعن كيفية إدراكه لهذا الجسم ومدى تأثير تلك العلاقة، فالمجتمع يعلم الأفراد من لحظة الميلاد أن المظهر مهم، فترسل الرسائل عن الجسم في الطفولة من خلال التفاعل الجسدي المتبادل بين الطفل وأمه وتتطور تدريجياً خلال النمو والنضج، كما يتعلم الطفل بسرعة أن الآخرين سيحكمون عليهم من خلال مظهرهم أو كيف يبدو، وتلعب الثقافة دوراً مهماً في نمو الصورة الجسم. وتؤدي الرسائل الاجتماعية الحضارية إلى تشكيل التصورات والمشاعر والأفكار عن الجسم، فيرى شيلدون "أن المجتمع والثقافة هما اللذان يحددان لكل نمط جسدي الدور الاجتماعي ولأساليب السلوكية المتوقعة والمنتظرة منه، وعلى الفرد أن ينصاع ويساير المجتمع ليحصل على رضاه وتدعيمه، كما أن ما يمارسه الآباء من أساليب تربية تساعد على اكتساب الطفل نمطاً جسيماً معيناً" (ابتسام بنت عوض عواض الزائدي، 1426: 14).

وعليه يلعب الجسد دوراً مهماً في الحياة النفسية بالدرجة الأولى وفي الحياة الاجتماعية. ولقد تنوعت الآراء والأفكار حول تصور الجسد، فعالم النفس ينظر إلى صورة الجسم لقياس نمو الفرد ومؤشر للتعرف على مختلف المشاكل النفسية، عالم الاجتماع ينظر إلى صورة الجسم أو الجسد لتعلم الكثير حول تفاعلات الفرد الاجتماعية، والطبيب قد يكون مهتماً بصورة الجسم لإيجاد مفاتيح الأمراض. وعليه سنحاول تقديم بعض التعاريف حول الجسد.

2. تعريف الجسد:

تعددت الآراء حول الجسد نذكر ما يلي:

يعرف جان كلود . Jean Claud .الجسد "هو مكان للتحويلات الجارية في الفضاء الاجتماعي والثقافي وفي الميادين الأخرى" (بلحسن مباركة، 2004:2). كما يرى مالك شبال أن الجسد هو "عنصر فعال للتكيف الاجتماعي و الثقافي ، فهو جسد اللغة ، الاعتقاد والأسطورة أكثر من انه الجسد التشريحي النافذ عبر بعض القياسات الانثروبولوجية او البيولوجية" كما يعتبر الجسد "كيان ثقافي عملي حي، ذلك لأنه بناء اجتماعي وثقافي وليس مجرد وجود مادي وحركات ، بل يجد لنفسه معنى في العلاقات الخاصة به، وعندها يختفي الجسد الطبيعي ويظهر مكانه الجسد الثقافي ، الاجتماعي ، الذي يمنح الجماعة عنوانا، فهو بممارساته يحافظ على أفراد ومعايير الجماعة" (حاكم مليكة، 2009:13).

لقي الجسد أو الجسم اهتمام سائر العلوم وخاصة منها التشريحية البيولوجيا التي اهتمت ببنيتها ووظائفه ، كما اهتم علماء الاجتماع وعلماء النفس والانثروبوجيين ، لقد بدا الاهتمام بالجسد في السوسيولوجيا كانت مع مووس . M.Mauss . إذ يوضح هذا الأخير بان هذه التصرفات والسلوكيات الجسدية تمثل مؤشرا للتربية والثقافة، فالجسد بذلك يشكل علامة خاصة بمجتمع ما، وهو يوضح أيضا الفروق البشرية وخصوصيات كل جنس على حدا، ويضيف هذا العالم بان هذه التقنيات الجسدية (المشي، الجري، طرق الأكل) ليست كما نعتبرها سلوكات طبيعية، بل هي في واقع الأمر سلوكات اجتماعية ومنمطة، إذ تشكل نتاجا ثقافيا للمجتمع (حاكم مليكة، 2009: 21). وعليه تعددت التصورات نحو الجسد نذكر منها:

أ. الجسد في الانثروبولوجيا :

تهتم الانثروبولوجيا بتحليل الرموز والسلوكات الناتجة عن الفرد وكذلك للعادات الجسدية المتميزة من فرد لأخر ومن مجتمع لأخر (اللباس والوشم)، فأنماط الألبسة والوشم توضح السيرة التاريخية، الثقافية لمجموعة دون الأخرى، كما يعتبر الجسد

أيضا الوجود الذي يمارس عن طريقه الثقافات طقوسها، وتقاليدها، فهو ليس مجرد وجود فردي بل هو وجود جماعي ينصهر ثقافيا واجتماعيا داخل المجتمع، رغم الاعتقاد بخصوصية هذا الجسد من جهة وامتلاكه من طرف صاحبه (حاكم مليكة، 2009: 23).

ب. الجسد في علم الاجتماع:

لقد كانت بدايات الاهتمام بهذا الموضوع متأخرة وذلك في فترة الستينات، وقد ادخل الموضوع الباحث م. مووس . M.Mauss. في عنوان أو مفهوم اسماء تقنيات الجسد ، يقصد تسيير وترميز المجتمع للجسد وتحقيق فعالية للسلوكات، كما عمل على البحث في أنماط الحركات، معاني التصرفات، وقد أوضح موس بان الجسد وما يصدر عنه رمزيا وثقافيا يختلف من ثقافة لأخرى، كما تختلف رؤية المجتمع للرجل والمرأة ، انطلاقا من السلوكات الرمزية لكل منهما.

ت. الجسد في علم النفس الاجتماعي:

يعتبر الجسد حامل للذاكرة الجماعية ، فان هذا الجسد هو نتاج لنمط الحياة الاجتماعية، حيث تتأثر رؤية الفرد لجسده وعلاقته به وتصرفاته بالوضعية الاجتماعية له، وهنا يرى بورن . Brohn. بان هناك علاقة بين الجسد والتاريخ، ذلك أن الظواهرية والتحليل النفسي يظهران أن الجسد تاريخا خاصا به مرتبط بالصراعات الاجتماعية وذلك في زمن محدد وهو بذلك جسد تاريخي يحمل الخبرات، التقاليد والقلق الثقافي المتعلق بوضعية الأفراد (الوضع النفسي والاجتماعي).

3. تعريف صورة الجسم:

شملت الكثير من التعريفات نذكر منها ما يلي:

عرف علاء كفاي ومايسة النبال صورة الجسم بأنها " الصورة الذهنية التي نكونها

عن أجسامنا بشكل متكامل متضمنة الخصائص الفيزيكية واتجاهيتنا نحو هذه

الخصائص " ، أما فوشاي فيعرفها بأنها " وعي الفرد بمظهره مقارنة بنفسه وبالآخرين " كما

يذهب كاش صورة الجسم بأنها "أفكار الشخص ، واعتقاداته ومشاعره وتصوراته وادراكاته واتجاهاته وأفعاله التي تتعلق بمظهره الجسدي عامة ، يشمل ذلك المظهر والسن والعنصر والتوظيفات والجنس" (رضا ابراهيم محمد الاشرم ، 23:2008)، كما يرى آخرون أن صورة الجسم هي "تصور عقلي وغير ثابت لشكل الجسم وحجمه والتكوين الذي يتأثر لعوامل مختلفة تاريخية وثقافية واجتماعية وفردية وبيولوجية التي تدار على مراحل الحياة المختلفة"

وعليه الملاحظ من التعريفات السابقة أن صورة الجسم ماهي إلا صورة ذهنية أو عقلية بمعنى عملية ذهنية تتشكل حول المظهر الجسدي أو حول الجسم تحت تأثير عوامل متعددة منها الجانب الاجتماعي (الثقافة والعادات و التقاليد) والجانب البيولوجي .

4. نمو صورة الجسم خلال مراحل الحياة:

تتغير صورة الجسم عبر مراحل العمر نذكر ما يلي:

ذكر هاريس أن الاتجاهات نحو صورة الجسم تبدأ في سن صغيرة جدا تستمر طوال فترة الطفولة والمراهقة قبل عمر سنتين فأكثر ، فالأطفال عندهم وعي ذات ويمكن أن يدركوا ذاتهم البدنية المنعكسة في المرآة وتأتي أجسامهم لتصور من هم في عيونهم ثم يبدؤون بعكس كيف يرى الآخرون مظهرهم (رضا ابراهيم محمد الاشرم ، 28:2008) ، وتتغير صورة الجسم ففي مرحلة الطفولة تكون على ما يلي:

أ. المرحلة الفمية (من الولادة- سنة):

تركيز الطفل على المنطقة الفموية فيتعلم الرضيع تميز صورة جسمه عن العالم الخارجي، وأثناء هذه المرحلة ينمي الطفل الثقة وعدم الثقة وإذا نى الطفل الإحساس بالثقة ينمي ويطور مفهوم ذات جيدا ، أما الطفل غير الواثق بنفسه فينمي ويطور مفهوم ذات منخفض ويرى نفسه سيئا .

ب. مرحلة الحضانة (1-3 سنوات):

يستمر ويتكامل تمييز الذات عما يحدث في البيئة ويكون شكل الأبوة مهما أثناء هذه المرحلة، لان الاتجاهات والمواقف الأبوية تشكل بصمة وانطبعا عن مفهوم الطفل عن جسمه وذاته ووظائفه ، فالطفل قد يعتبر جسمه جيدا او سيئا.

ت. مرحلة ما قبل المدرسة (3-6 سنوات):

يبدأ الطفل في التركيز على الأعضاء التناسلية هذا التركيز يمكن أن يؤدي إلى العقاب ومن ثم القلق والذنب، فلأعضاء التناسلية يمكن أن تكون محل الصراع بين السرور والقلق الذي يمكن أن يؤدي اضطراب صورة الجسم الأعضاء التناسلية، كما أن نمط الجنس والهوية مهم في هذه المرحلة .

ث. سن المدرسة (6-12 سنة):

طبقا لاريكسون ينمي الطفل المثابرة أو الدونية (عقدة النقص)، أن الطفل في سن المدرسة يختبر مهاراته في مقابل جماعة الاقران، وإذا لم يستطع الطفل الكلام أو الأداء مقارنة بالأطفال الآخرين، أو إذا كان لديه أي قصور آخر، فقد يعتبر نفسه اقل من الأطفال الآخرين، تتميز هذه المرحلة بالنمو السريع حيث يميل الطفل التركيز على جسمه وكيف يبدو للآخرين بينما يميل الطفل الأصغر إلى أن يكون أكثر تركيزا على ذاته .

ج. مرحلة المراهقة:

تعتبر سنوات البلوغ والمراهقة قاسية خاصة على صورة الجسم بسبب التغيرات، ويشير جولون وكستانسكي إلى أن عدم الرضا عن صورة الجسم المدرك قد يتأسس جيدا في فترة التي يصل فيها الفرد للمراهقة. فينظر المراهق في هذه المرحلة إلى كل عضو من أعضاء جسمه كأنه جزء قائم بذاته، حيث تعتبر هذه المرحلة مرحلة الفحص الجزئي الدقيق، وغالبا ما يكون المراهق غير راضي عن شكل أجزاء الجسم وتتأثر صورة الجسم لدى المراهق بتعليقات وتقييمات الآخرين.

ح. مرحلة الرشد:

يتوافق الفرد مع صورة جسمه ويقتنع بها من حيث الطول والتأزر وملامح الوجه ، ولكن توجد درجة من عدم الرضا عن الذات الجسمية فيما يخص الوزن خاصة عند الإناث(رضا ابراهيم محمد الاشرم ، 30:2008).

خ. مرحلة الشيخوخة:

يدرك المسن التغيرات الواضحة على جسمه ولكن لا تمثل محورا جاد في تفكيره بقدر ما يشغله سلامة صحته وان يجد من يراعه ويهتم بأموره ، فتراجع صورة الجسم في مرحلة الشيخوخة إلى الشكل العام وتبتعد عن الخصوصية والجزئية.

5. تصور الجسد اجتماعيا:

رغم الاهتمام المتأخر بالجسد في السوسيولوجيا على حد قول "جاك لوقوف" نسي التاريخ والمؤرخون الجسد رغم انه كان ولا يزال صانع مأساة (حاكم مليكة، 26:2009)، إلا أن جاك لوقوف يشير إلى أن دراسة الجسد تعني معرفة وفهم المجتمع ،بحيث يعمل هذا الأخير على نمذجة أفراده منذ الولادة ضمن تجربة جسدية، إذ يلزمه بنظام ومعايير جسدية معينة ، يظهر ذلك في اللباس والحركات . وهو بذلك يضمن استمرارية وعدم اندثار وجوده داخل كل فرد من أفراده وهو دائم الحضور في الجسد الفردي والذي في حقيقة أمره لم يعد ملك نفسه لأنه أصبح جسدا اجتماعيا ضمن عمل المجتمع على نمذجة الأفراد ، فيحافظ على ثنائية الجنس، إذ تتم النمذجة لكل جنس على حدا ، كما يعمل الجسد خارج مجتمعه، فعن طريق اللباس والسلوك يعمل على تحقيق التميز لمجتمعه عن باقي المجتمعات . ويحاول شيلدر" إيضاح فكرة أن صورة جسم الأفراد المختلفين ترتبط معينا بعضها البعض بشكل متبادل، فهناك تبادل مستمر فيما بين أجزاء صورة أجسامنا وصور أجسام الآخرين"(ايناس عبد المنعم محفوظ حشاد، 53:2001) ، كما لا تعتمد صورة الجسم على الملامح الموضوعية للجسم فقط كالطول والوزن وإنما أيضا على

تقييمات الآخرين وكيفية تناسبها مع المستويات الخارجية للجمال ، فيتأثر الناس بشكل أساسي بالكيفية التي يدركونها بها أجسامهم والتي يدركهم بها الآخرون وهذا الإدراك يتأثر بالمستويات الاجتماعية والمفاهيم الثقافية، وعليه للعوامل الثقافية تلعب دور لا يستهان به في إدراك الفرد لصورة جسده او جسمه والتي يتعداها إلى التأثير في جوانب أخرى من الحياة .

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة انتشار شكل آخر من الظواهر ظاهرة حرق الجسد في وسط الجمهور، بعدما أن كانت ظاهرة الهجرة السرية التي كان فيها قتل الجسد في أعماق البحار.

ولقد تعددت أسباب حرق الجسد، فمنها من اعتبر حرق الجسد هو شكل من أشكال الانتحار نتيجة اكتئاب حاد يمر به الفرد بسبب تعرضه للظلم والشعور باليأس مطلق فيرفع سقف الاحتجاج إلى أقصاه فيقوم بحرق ذاته (عبد الجبار شكري، 2011). فالفرد الذي يقوم بحرق نفسه فقد تساوى في نظره الموت والحياة أمام ما فقده من لذة في العيش اليومي، أمام الفقر والحاجة فالأمر بالنسبة إليه سيان أن يموت أو أن يعيش فالأمر كله سواء، يعني إذا لم يحتج فهو ميت، وان احتج فهو ميت لأنه يعرف مصيره المحتوم عند الدولة لهذا تطغى عليه في حالة تعرضه للظلم حالة اليأس المطلق فيحرق نفسه لتحميل الدولة مسؤولية موته، ضف إلى ذلك الوعود الكاذبة للدولة تجعل الفرد إلى فقدان الأمل في المستقبل وبالتالي ينتحر عن طريق حرق الجسد. كذلك في عملية الاحتجاج الجماعية يجد الشخص نفسه يدخل في سيكولوجية الجموع وسيكولوجية الجموع تخرج الشخص من سيكولوجية الانا فيجد الشخص في ظل انفعال جماعي قوي يقدم على حرق نفسه ظل التهميش والاهانة الممارسة من طرف المسؤولين يشعر خلالها بأنه ليس له قيمة وانه غير موجود ، فيلجأ إلى حرق ذاته للتأكيد اناه الاجتماعي الذي يتميز بالشجاعة والتضحية ، ليبين للمجتمع انه مثال للتضحية والبسالة . ولذا أصبح ينظر إلى الجسد على انه وسيلة للتخلص من المشاكل ومتنفس دون النظر إلى الآثار الناتجة عن هذا

الحرق بما فيها أسرته خاصة على مستوى المغرب العربي نتيجة الأوضاع المزرية (الفقر)، ضف إلى ذلك إعطاء صورة من البطولة والشهامة ، فالفرد الذي يحرق نفسه في نظره انه احرق نفسه لأنه البطل الذي جاء لينقذ الناس من العوز والفقر في ظل التهميش والظلم. وعليه يجب توعية المجتمع لاسيما فئة الشباب بان حرق الجسد ليس الوسيلة الوحيدة لحل المشاكل وان هناك طرق أخرى لمجابهة المشاكل ، خاصة ونحن نعيش في مجتمع إسلامي ينهى عن قتل النفس ، تقديم الدعم المادي والمعنوي لهذه الفئة من قبل الدولة عن طريق تقديم حلول عملية وفتح خلايا إصغاء لسماع انشغالات الشباب، التوعية الإعلامية من خلال تقديم برامج توعوية توعي الشباب بخطوة حرق الجسد، التكفل النفسي لهذه الفئة، والقيام بدراسات وبحوث نفسية واجتماعية للتعرف أكثر عن الأسباب لوضع حلول، قيام دورات وندوات حول هذه الظاهرة وكيفية معالجتها.